

## الفصل الخامس

- ١ . تناقض ظاهري!
- ٢ . الكفارة.
- ٣ . النبيّ أخنوخ.
- ٤ . النبيّ نوح.
- ٥ . بابل.

## ١ . تناقض ظاهري

عرفنا في الفصول القليلة السابقة بعض الأمور عن طبيعة الله العليّ. وسوف نتعلّم المزيد عنه في هذا الفصل والفصول اللاحقة. لكن قبل ذلك، يجب علينا أن نتوقّف قليلاً لتدعيم الأساسات ووضع بعض قطع الأحجية الكتابية في أماكنها.

من المفيد أن ندرك أنه كما أنّ الله وضع قوانين طبيعية تحكّم هذا الكون، فقد وضع أيضاً قوانين روحية تحكّم العلاقة بينه وبين الإنسان. وكما أنّ معرفتنا للقوانين الفيزيائية والكيميائية تُساعدنا على فهم العالم المحيط بنا، فإنّ معرفتنا لهذه القوانين الروحية تُساعدنا على فهم الحياة والموت. ويقتضي التنويه هنا إلى أنّ فهم هذه القوانين الروحية ليس بالأمر الصعب. لكن قبل ذلك، تعال بنا نرى موقف الإنسان.

### مُشكلة الإنسان

بسبب خيار آدم وحواء، أصبحت البشرية تواجه مُشكلة مُزدوجة:

- يوجد لدينا شيء لا نحتاجه - دَيْن الخطيئة.
- هناك شيء نحتاجه لكننا لا نملكه - الكمال.

أرجو أن تسمح لي بأن أوضح هاتين النقطتين:

### ١ . لدينا مُشكلة دَيْن.

في العُصور الغابرة (ووقتنا الحاضر أيضاً) عندما كان أحد الأشخاص يقترض مالاً من شخص آخر، كان يتم تحرير «سند دَيْن» رسمي بذلك لكي لا ينسى الدائن والمدّين المبلغ المطلوب دفعه. وكان الأشخاص الذين يعجزون عن دفع ديونهم يُعتبرون مجرمين تحت طائلة المسؤولية القانونية الكاملة. وبالطريقة نفسها، فإنّ الكتاب المقدس يُعلّمنا أنّ الخطيئة دَيْن في نظر الله، وأنها تستوجب الدفع والسداد. لهذا فإننا أمام قانون أو ناموس يُسمّى:

(رومية ٨: ٢)

... نَامُوسُ الْخَطِيئَةِ وَالْمَوْتِ

أما نصّ هذا الناموس فيقول:

(حزقيال ١٨: ٢٠)

«النَّفْسُ الَّتِي تَخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ ...»

لقد حدّر الله آدم وحواء من عواقب خرق هذا القانون حينما أخبرهما أنها إذا عصيا كلمته فسوف يموتا. ويقول هذا القانون إنّ الطريقة الوحيدة لتسديد الدَيْن هي الموت - بجميع أبعاده الثلاثة التي ذكرناها سابقاً. لكنّ السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: هل يمكننا سداد هذا الدَيْن؟ الجواب هو «أجل»؛ لكن بشرط. فنحن نتحمّل عواقب الخطيئة حينما نختر أشياءً مثل الشعور بالذنب، والعار، والحزن، والخسارة، والألم. لكنّ بعض الناس تعلموا أن يتأقلموا بصورة جيدة مع مثل هذه العواقب. ومع مرور الوقت، أصبح بإمكان هؤلاء أن يتغلّبوا على مشاعر الذنب والألم. لكنّ الأمر لن يكون كذلك بعد الموت. فالموت الثاني سيستمر إلى الأبد ولا يمكن اعتباره دُفعة من الدَيْن لأنّ عملية السداد لم ولن تكتمل؛ بل ستستمر إلى أبد الأبد. وبصراحة، فإنّ أغلب الأشخاص يتردّدون في السداد

لسببٍ أو لآخر. لكن المشكلة هي أنه ينبغي علينا أن نُسدّد الدَّين. وهكذا، فإنَّ البشر في ورطةٍ حقيقيَّة!



لكن حتى لو تمَّت إزالة هذه العواقب المريعة للخطيئة (أي أنَّ دَيْنَ الخطيئة قد سُدِّد بطريقةٍ ما) ، فلن يكون بإمكاننا أن نعيش مع الله لأننا ما زلنا بحاجة لشيءٍ لا نملكه!

## ٢. نحتاج للكمال.

حيث أنه لا يُمكن لأحد أن يعيش مع الله الكامل في السماء الكاملة إلا إذا كان كاملاً، فإننا بحاجة للوصول إلى مُستوى من الصَّلاح يجعلنا مقبولين في محضر الله القدوس. لهذا، يقول الكتاب المقدس:

(عبرانيين ١٢: ١٤)

«... وَالْقُدَّاسَةُ الَّتِي بَدُونَهَا لَنْ يَرَى أَحَدُ الرَّبِّ»

ويجب أن يكون هذا الصَّلاح (أو هذا البرِّ) مُعادلاً لبرِّ الله. لكن حيث أنه ما من أحد يدنو من هذا الكمال، فنحن أمام مُعضلةٍ أخرى!

## الخلاصة

نحن أمام سؤال مؤلَّف من شقين: (١) كيف يمكننا أن نتخلَّص من دَيْنِ خطيئتنا مع جميع العواقب الناجمة عن ذلك؟ (٢) كيف يمكننا أن نحصل على صَّلاح يُعادل صلاح الله لكي نتَمكَّن من المُتول في محضره؟

إذا لم يكن هذا مفهوماً، فسوف أحاول شرحه بطريقةٍ أخرى: في بداية الخلق، كان بمقدور الإنسان أن يَمكُث في حَضرة الله. لكن حينما عصى الإنسان الله، تغيَّر كيانه بأكمله، وفقد طبيعته غير الخاطئة التي كانت تجعله مقبولاً عند الله. وبالتالي، كيف يمكن للإنسان أن يسترجع ذلك الكمال الذي يُتيح له العيش مع هذا الإله الكامل؟ سوف نُبقي هذين السؤالين في أذهاننا أثناء قراءتنا للمزيد من آيات الكتاب المقدس.

والآن، بعد أن حددنا مشكلة الإنسان، سوف نُحوّل أنظارنا إلى الله لنرى كيفية تأثير هذا الأمر عليه.

## موقف الله

لكي نتمكن من فهم موقف الله، يجب علينا أن نفهم صفتين من صفاته:

### ١ . العدالة المطلقة

لقد رأينا أن الله كامل وليس فيه خطيئة. وهذا يعني أنه أمين وعادل في تعامله مع خلقته. «هُوَ الصَّخْرُ الْكَامِلُ صَنِيعُهُ. إِنَّ جَمِيعَ سُبُلِهِ عَدْلٌ. إِلَهٌ أَمَانَةٌ لَا جَوْرَ فِيهِ. صَدِيقٌ وَعَادِلٌ هُوَ» (تثنية ٣٢: ٤)

لتقريب الصورة إلى أذهاننا، يُمكن تشبيهه الله بالقاضي العادل الذي لا يجابي بين الناس: «لأنَّ الرَّبَّ إِلَهُكُمْ هُوَ إِلَهُ الْإِلَهَةِ وَرَبُّ الْأَرْبَابِ، الْإِلَهُ الْعَظِيمُ الْجَبَّارُ الْمَهِيبُ الَّذِي لَا يَأْخُذُ بِالْوَجْهِ وَلَا يَقْبَلُ رِشْوَةً» (تثنية ١٠: ١٧)

فسواء كان الله يتعامل مع أمير أو فقير فهو يطبّق أحكامه بعدل وأمانة. ورغم أنه يُمكن للمرء على هذه الأرض أن يخفي جريمة ما، أو أن يكذب بشأنها، أو أن يرشي القاضي، أو أن ينجو بفلته؛ إلا أن الأمر ليس كذلك مع الله. فما من مُدَنبٍ سينجو بخطيئته، وما من خاطئ سيفلت من عدالة الله.

«لأنَّ الله يُحْضِرُ كُلَّ عَمَلٍ إِلَى الدِّيُونَةِ، عَلَى كُلِّ خَفِيٍّ، إِنَّ كَانَ خَيْرًا أَوْ شَرًّا» (الجامعة ١٢: ١٤)

وهكذا، فإنَّ الأمانة والعدل صفتان رئيسيتان مُلزامتان لطبيعة الله:

(المزمور ٨٩: ١٤)

«الْعَدْلُ وَالْحَقُّ قَاعِدَةٌ كَرْسِيِّكَ ...»

(المزمور ١١: ٧)

«لأنَّ الرَّبَّ عَادِلٌ وَيُحِبُّ الْعَدْلَ ...»

وبما أن الله كامل، فيمكننا أن نثق تماماً بأنه سيكون عادلاً تماماً؛ وهذا أمر يُسعدنا كثيراً! لكنَّ الخبر السيئ هو أن العدل الكامل يقتضي مُعاقبة الخطيئة بعقوبة مُساوية لها. وهكذا، يُمكننا أن نعرف مدى خطورة الخطيئة عن طريق النظر إلى العقوبة المُقابلة لها. وكما رأينا سابقاً، يقول الكتاب المقدس إنَّ دَيْنَ خطيئتنا لا يُمكن سداه إلا عن طريق موتنا - بأبعاده الثلاثة.

من المؤكّد أن هذا ليس خبراً ساراً على الإطلاق؛ لكننا نشكر الله على وجود الصفة الأخرى.

### ٢ . المحبة الكاملة

ليس لدى الله عدالة مُطلقة فحسب؛ بل لديه محبة كاملة أيضاً. فالله مُحبٌّ بطبيعته:

(١ يوحنا ٤: ٨)

«... اللهُ مَحَبَّةٌ»

• لقد رأينا أن الله أظهر نوعاً من المحبة حينما خلق العالم. وهذا واضح من خلال عنايته بخليقته، واهتمامه بنا وبتسديد حاجاتنا:

(١ تيموثاوس ٦: ١٧)

«... الَّذِي يَمُنَحُنَا كُلَّ شَيْءٍ بِغَيْرِ اللَّتْمَعِ»

في الصفحات اللاحقة من هذا الكتاب، سوف نرى أن الله أظهر محبةً أعمق من نحنونا

رغم أننا لا نستحقها. وغالباً ما يُشار إلى هذه المحبة بكلمتي «نعمة» و«رحمة».  
«أَحْمَدُوا إِلَهَ الْآلِهَةِ. لِأَنَّ إِلَى الْأَبَدِ رَحْمَتُهُ. أَحْمَدُوا رَبَّ الْأَرْبَابِ، لِأَنَّ إِلَى الْأَبَدِ رَحْمَتُهُ» (الزمور  
٣٠:٢٠:١٣٦)

كان آدم وحواء هما اللذان قطعاً الصداقة مع الله في الجنة، لكن الله لم يتغير ولم يتبدل.  
فما زال الله يُحبهما رغم أنه لم يُحب خطيئتهما.

### هل من تناقض هنا؟

ربما تشكل عدالة الله ومحبته تناقضاً لك حينما تُفكر فيهما في ضوء معضلة خطيئة الإنسان وموته. فعلى سبيل المثال، إذا كان الله عادلاً تماماً، فيجب عليه أن يُنقذ أحكامه حينما نُخطئ. ويجب ألا تكون هناك أية استثناءات لهذه القاعدة. وهذا يعني أنه يجب علينا جميعاً أن ندفع أجرة خطايانا؛ أي أنه يجب علينا أن نموت حينما نُخطئ، لكن بما أن الله إله مُحب، فهو لا يُريد أن يهلكنا؛ بل يريدنا أن نعيش معه إلى أبد الأبد.

إن صفتي العدل والمحبة لدى الله مُتساويتان. وهذا يعني أن صفة المحبة لا تطفئ على صفة العدل لديه؛ والعكس صحيح أيضاً. وحيث أن الله يعمل بطريقة تتوافق تماماً مع طبيعته الكاملة، فلا بد أن يكون قادراً على التعبير عن هاتين الصفتين بصورة مُتساوية. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: «كيف يمكن لله أن يكون عادلاً ومُحِباً في الوقت نفسه؟» تابع القراءة لتعرف الإجابة عن هذا السؤال المهم.

### لا يمكن لله أن يتغاضى عن الخطيئة

يجب علينا أن نعرف نظرة الله إلى الخطيئة لكي نتمكن من فهم رسالته إلى البشرية فهماً واضحاً. فالكتاب المقدس يقول إنه لا بد لله أن يفعل شيئاً حينما نُخطئ؛ فلا يمكنه أن يتغاضى عن خطايانا وأن يعتبرها وكأنها ليست موجودة. فإن تغاضى الله عن الخطيئة فسوف يكون هذا مُعارضاً لطبيعته لأنه إله قُدوس. لهذا، فهو يُعاقبنا (سواء أثناء حياتنا على هذه الأرض أو بعد موتنا الجسدي) على كل خطيئة قمنا بها. ويجب أن ندرك أن الله راسخ تماماً في هذا الأمر حيث ينبغي علينا جميعاً أن نموت.

«لأنه لا بد أن نموت ونكون كالماء المَهْرَاقِ عَلَى الْأَرْضِ الَّذِي لَا يُجْمَعُ أَيضاً...» (٢ صموئيل ١٤: ١٤)

لكن الآية أعلاه لا تتوقف عند هذا الحد. فنحن نرى الصفة الأخرى للرب واضحة أيضاً لأنه «محبته» بطبيعته:  
«... وَلَا يَنْزِعُ اللَّهُ نَفْسًا بَلْ يُفَكِّرُ أَفْكَارًا حَتَّى لَا يُطْرَدَ عَنْهُ مَنْفِيَةٌ،»

(٢ صموئيل ١٤: ١٤)

تقول هذه الآية إنه رغم أن الله يسمح لأجسادنا المادية أن تموت، إلا أنه يوفّر لنا بمقتضى محبته وسيلة لتخليص أرواحنا من العقاب الأبدي. وبهذا فإن الله يُسح لنا المجال للعيش في حضرته من جديد. لكن كيف يمكن لله أن يُدين الخطيئة وأن يُنقذنا في الوقت نفسه؟

وكيف يمكنه أن يُدين الخطيئة دون أن يُديننا نحن؟ سوف نتناول هذا الموضوع في الفصول القادمة.

### الكبرياء

هناك نقطة أخيرة قبل أن نتابع دراستنا. فالكتاب المقدس يقول إن الكبرياء هي التي جعلت الشيطان يتمرد على الله. ورغم أن البعض ينظر إلى الكبرياء باعتبارها شيئاً إيجابياً وجيداً، إلا أن الكتاب المقدس يقول إن الكبرياء هي التي تمنعنا من اللجوء إلى الله طلباً للعون. لهذا، فإن الكتاب المقدس يُحذّرنا دوماً من خطر الكبرياء:

«... اللهُ يُقاوِمُ اسْتَكْبِرِينَ، وَأَمَّا التَّواضِعُونَ فَيُعْطِيهِمْ نِعْمَةً» (١ بطرس ٥: ٥)

لذلك، عوضاً عن أن نسمح لكبريائنا بالسيطرة علينا والتحكّم فينا؛ وعوضاً عن أن نهتم أكثر من اللازم بآراء الآخرين بنا، يجب علينا أن نتبع ما يقوله الكتاب المقدس لنا:

«هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: لَا يَفْتَخِرَنَّ الْحَكِيمُ بِحِكْمَتِهِ، وَلَا يَفْتَخِرَ الْجَبَّارُ بِجَبْرُوتِهِ، وَلَا يَفْتَخِرِ الْغَنِيُّ بِغِنَاهُ. بَلْ بِهَذَا لِيَفْتَخِرَنَّ الْمَفْتَخِرُ: بِأَنَّهُ يَفْهَمُ وَيَعْرِفُنِي أَنِّي أَنَا الرَّبُّ الصَّانِعُ رَحْمَةً وَقَضَاءً وَعَدْلًا فِي الْأَرْضِ، لِأَنِّي بِهِذِهِ أُسْرُّ، يَقُولُ الرَّبُّ» (إرميا ٩: ٢٢-٢٤)

## ٢ . الكفارة

بعد أن أكل آدم وحواء من ثمر تلك الشجرة، كان أول شيء فعلاه هو أنهما حاولا أن يغطيا عورتيهما بأوراق التين. ورغم ارتدائهما لهذه الملابس، إلا أن آدم أخبر الله بأنه يشعر بالغرّي! ولا بُد من وجود سبب لذلك الشعور حيث يقول لنا الكتاب المقدس:

«... الرَّبُّ لَا يَنْظُرُ كَمَا يَنْظُرُ الْإِنْسَانُ. فَالْإِنْسَانُ يَنْظُرُ إِلَى الْمَظْهَرِ، وَأَمَّا الرَّبُّ فَيَنْظُرُ إِلَى الْقَلْبِ» (١ صموئيل ١٦: ٧ - المشتركة)

كان الله ينظر إلى محاولاتهما النياسة لستر نفسيهما بأوراق التين. وما من شك أنه كان يرى قلبيهما من الداخل.

يقول الكتاب المقدس لنا إن الله رفض محاولات آدم وحواء الرامية إلى تحسين صورتها أمامه. فرغم أن أوراق التين ستّرت عريهما، إلا أن قلبيهما كانا مليئين بالخطيئة. وقد أراد الله أن يُعلمهما أن الإنسان عاجز تماماً عن فعل أي شيء خارجي أو داخلي لحل مشكلة الخطيئة. لهذا، فقد رفض الله ملابسهما المصنوعة من أوراق التين.

### غطاء

لم يكن بمقدور أي شخص أن يوفر لآدم وحواء ملابس مقبولة لدى الله. لهذا السبب، أخذ الله حيوانين بريئين (لا ذنب لهما في خطيئة آدم وحواء)، وذبحهما، وسلخ جلدتهما:

«وَصَنَعَ الرَّبُّ إِلَهُ لَأَدَمَ وَأَمْرَأَتِهِ أَقْمِصَةً مِنْ جِلْدِ وَالْبَسَهُمَا» (تكوين ٣: ٢١)

كانت هذه صورة حيّة عن أن الخطيئة تجلب الموت. لم يكن آدم وحواء قد شاهدا شخصاً

أو حيواناً يموت من قبل. لذلك، من المؤكد أن رؤيتهما لهذين الحيوانين وهما يموتان كانت أمراً مؤملاً لهما. وبممكننا أن نتخيل المشهد المائل أمامهما: فها هي الدماء تجري على الأرض، وهناك حيوانان بريئان يلفظان أنفاسهما الأخيرة ويبدأ اللعنان بالاختفاء من أعينهما شيئاً فشيئاً إلى أن يموتا! وهكذا، فقد قام الله بتوصيل حقيقة الموت المربعة لأدم وحواء على الفور. فقد ضحى الله بحيوانين بريئين لكي يأخذ جلودهما ويستتر بها عورتى آدم وحواء!

### طرد آدم وحواء من الجنة

رغم أن الإنسان أخطأ، إلا أنه كان ما زال يعيش في الجنة وبإمكانه الوصول إلى شجرة الحياة. وكان الأكل من هذه الشجرة يعني أنه سيعيش إلى الأبد. لذلك، قام الله بطرد آدم وحواء من الجنة.

✦ ملحوظة: لاحظ عبارة «كواحد منّا هنا. فيما أن الكتاب المقدس يقول بوضوح إنه يوجد إله واحد فقط، فمن البديهي أن نساءل: مع من يتكلم الله هنا حينما يقول: «هُؤَذَا الْإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَّاحِدٍ مِنْنَا»؟ سوف نجيب عن هذا السؤال في وقت لاحق.

«وَقَالَ الرَّبُّ إِلَهُهُ: هُوَذَا الْإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَّاحِدٍ مِنْنَا عَارِفًا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ. وَالآنَ لَعَلَّهُ يَمُدُّ يَدَهُ وَيَأْخُذُ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ أَيْضًا وَيَأْكُلُ وَيَجِيءُ إِلَى الْآبَدِ. فَأَخْرَجَهُ الرَّبُّ إِلَهُهُ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَ الْأَرْضَ الَّتِي أَخَذَ مِنْهَا. فَطَرَدَ الْإِنْسَانَ، وَأَقَامَ شَرْقِيَّ جَنَّةِ عَدْنِ الْكَرْوِيمِ، وَلَهَيْبَ سَيْفٍ مُتَقَلِّبٍ لِحِرَاسَةِ طَرِيقِ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ

(تكوين ٣: ٢٢-٢٤)

كان هذا عمل من أعمال الرحمة. فالله لم يشأ أن يعيش البشر في حالة الخطيئة إلى الأبد. فهل يمكنك أن تتخيل حال العالم لو أن جميع الأشرار عبر التاريخ ما زالوا أحياء حتى يومنا هذا؟ لهذا، حينما طرد الله آدم وحواء من الجنة عدن، فقد كان بذلك يسمح لإحدى عواقب الخطيئة أن تقوم بعملها الأخير ألا وهو الموت الجسدي. لكن الله كان ينظر إلى ما وراء القبر. فقد كان يفكر في خطئته الرامية إلى تخليص الإنسان من الموت الثاني؛ أي إنقاذه من بحيرة النار.

### قايين وهابيل (انظر الخط الزمني في الفصل التاسع من هذا الكتاب صفحة ١٤٢)

«وَعَرَفَ آدَمُ حَوَاءَ امْرَأَتِهِ فَحَبِلَتْ وَوَلَدَتْ قَايِينَ. وَقَالَتْ: أَقْتَنَيْتُ رَجُلًا مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ. ثُمَّ عَادَتْ فَوَلَدَتْ أَخَاهُ هَابِيلَ...»

(تكوين ٤: ٢، ١)

وُلد كلٌّ من قايين وهابيل خارج جنة عدن. وبما أنه حُبِلَ بهما نتيجة اتحاد بين آدم وحواء، فقد أصبحا يُعانيان من نفس حالة الخطيئة التي يُعاني منها آدم؛ وبهذا فقد كانا مُنفصلين عن الله. ولكي يكون الله عادلاً، يجب أن يُطبَّق قانونه عليهما. وهذا يعني أنه كان ينبغي على قايين وهابيل أن يموتا بسبب خطاياهما. لكن الله كان يُحبُّهما لدرجة أنه وفَّرَ لهما بمقتضى رحمته طريقةً للنجاة من تلك الديونة. وكان لهذه الطريقة جانبان:

### داخلي – الإيمان بالله

كان ينبغي على قايين وهابيل أن يتقوا بالله وأن يؤمنوا أنه صادق في أقواله. فعلى سبيل

المثال، لقد وعد الله آدم وحواء بأن المخلص سيسحق رأس الشيطان ويُخلصهما من عواقب الخطيئة. فهل كان ذلك ممكناً؟ وهل كان ذلك صحيحاً؟ وهل كان الله يعني ذلك حقاً؟ كان ينبغي على كل من قايين وهابيل أن يُقررا ما إذا كانا سيؤمنان بالله أم لا.

### خارجي - وسيلة إيضاح بصرية

أراد الله أيضاً أن يبين لقايين وهابيل ما هو الشيء المطلوب لإزالة الخطيئة. وكان ذلك يتطلب استخدام وسيلة إيضاح بصرية.

✦ ملحوظة: كان المذبح عبارة عن مصطبة من حجارة تُقدّم عليها الذبائح.

نفهم من خلال دراستنا للكتاب المقدس<sup>١</sup> أن الله أعطى قايين وهابيل تعليمات واضحة ومحددة عن كيفية طلب وجهه والاقتراب منه. فقد كان ينبغي عليهما أن يحضرا حيواناً، وأن يذبحاه ويجعلا دمه يسيل على مذبح. ✦ لكن لماذا هذه الطريقة تحديداً؟ أي ما هو السبب المنطقي لمثل هذه التعليمات الواضحة؟ يقول الكتاب المقدس:

«... بِدُونِ سَفِكِ دَمٍ لَا تَحْصُلُ مَغْفِرَةٌ،»

(عبرانيين ٩: ٢٢)

والآن، تعال بنا لنحلل هذه الآية قليلاً. فالآية تقول في حقيقة الأمر: «... بِدُونِ مَوْتٍ عَنْ طَرِيقِ سَفِكِ دَمٍ لَا تَحْصُلُ مَغْفِرَةٌ مِنْ دَيْنِ الْخَطِيئَةِ،»

(عبرانيين ٩: ٢٢)

وبهذا، كان الله يقول لهما إن دَيْنِ خطيئة الإنسان لا يمكن تسديده أو عُفْرانه إلا عن طريق الموت. لكن لماذا يجب أن يكون هناك دم؟ نجد الإجابة عن هذا السؤال في الآية التالية: «لأنَّ نَفْسَ الْجَسَدِ هِيَ فِي الدَّمِ، فَأَنَا أَعْمَلِيْتُكُمْ إِيَّاهُ عَلَى الْمَذْبَحِ لِتَكْبِيرِ عَنْ نَفْسِكُمْ، لِأَنَّ الدَّمَ يُكْفِّرُ عَنِ النَّفْسِ» (لاويين ١٧: ١١)

هناك جانبان يتعلّقان بذيبة الدم:

- **البَدَل:** في الوضع العادي والطبيعي، يجب أن يموت الإنسان عن الخطايا التي يقترفها هو بنفسه. لكنّ الله قال للإنسان إنه سيقبل موت حيوان بري بدلاً عنه وذلك بناءً على أمور معيَّنة ستحدث في المستقبل. كانت تلك حياة مُقابل حياة، ونفس بريئة تموت بدلاً من النفس التي أخطأت في الأصل. وهكذا، فقد كانت الذبيحة تُصوّر تطبيق ناموس الخطيئة والموت من أجل تحقيق العدالة وإرضاء الله. لكن ألم يكن بالإمكان قتل الحيوان بدون سفك دمه كأن يتم خنقه أو إغراقه مثلاً؟
- **الكفارة:** قال الله إنّ الدم سيكون كفارة عن الخطيئة. وكلمة كفارة تعني «غطاء» بمعنى أنّ الدم المسفوك سيُعطي خطيئة الإنسان. وبذلك، حينما ينظر الله إلى الإنسان فلن يرى خطيئته لأنّ الدم يُعطىها. وبهذه الطريقة، سوف يتم استعادة العلاقة بين الإنسان والله. ورغم أنّ الإنسان سيموت جسدياً في نهاية المطاف، إلا أنّ العواقب الأبدية للخطيئة لن تُطبّق عليه (أي أنه لن يكون مُنفصلاً عن الله إلى أبد الأبد في بحيرة النار)

وهكذا، وعن طريق الإيمان بالله كما هو موضح من خلال الموت البدلي والدم الكفاري

على المذبح، سوف يجد الإنسان غفراناً لخطاياها ويتمكن من إقامة علاقة جديدة مع الله. والآن، سوف تنتقل إلى قصة قايين وهابيل دون أن ننسى تعليمات الله الواضحة والمحدّدة بشأن الذبيحة والدم.

### الكفارة - غطاء للخطيئة

كلمة «كفارة» تحمل بين ثناياها فكرة إرضاء جوانب العدل والقداسة والبر لدى الله. فناموس الله يقضي بالموت كعقاب للخطيئة. لذلك، فقد رضي الله بموت حيوان بريء نيابة عن الإنسان كتتميم لمطالب الناموس.

لم يكن ذبح حيوان على المذبح يعني أنّ الخطيئة قد زالت. فقد استمر الإنسان في اقرار الخطايا. لكنّ الذبيحة كانت تُصوّر الشيء اللازم لغفران تلك الخطايا - ألا وهو الموت وسفك الدم. فقد كان الدم يُوفّر الكفارة أو الغطاء للخطيئة. وكما قام الله بتغطية عورتَي آدم وحواء بملابس مقبولة لديه، فقد غطّى خطيئة الإنسان بالدم وجعله مقبولاً لديه أيضاً. وهكذا، يُمكن القول إنّ الله قد أوجد حلاً مؤقتاً لمشكلة خطيئة الإنسان واعتبرها وكأنّها ليست موجودة.

### تقدّمتا قايين وهابيل

«... وَكَانَ هَابِيلُ رَاعِيًا لِلغَنَمِ، وَكَانَ قَايِينُ عَامِلًا فِي الأَرْضِ. وَحَدَثَ مِنْ بَعْدِ أَيَّامٍ أَنَّ قَايِينَ قَدَّمَ مِنْ أَثْمَارِ الأَرْضِ قُرْبَانًا لِلرَّبِّ. وَقَدَّمَ هَابِيلُ أَيْضًا مِنْ أَكْبَارِ غَنَمِهِ وَمِنْ سِمَانِهَا.» (تكوين ٤: ٢-٤)

قدّم كلُّ ما قايين وهابيل تقدمات للرب بحسب أمر الله لهما. فقد أراد الله منهما أن يُظهرا بطريقة عملية أنهما يتقيا بكلمته ويؤمننا أنها صادقة. ورغم أنهما أحضرا تقدماتهما لله، إلاّ أنه كانت هناك مشكلة وكان هناك اختلاف جوهري في التقدمة التي أحضرها كلُّ منهما.

أحضر هابيل حيواناً يمكن ذبحه وسفك دمه. وبالتالي، فقد كانت تقدمته صحيحة وصالحة وفقاً لوصايا الله. أمّا قايين فقد أحضر خضروات وفاكهة لتقديمها لله! لكنّ الخضار والفاكهة لا يُمكن ذبحها وسفك دمها. وهكذا، رُغم أن قايين جاء بتقدمة للرب، إلاّ أنّ تقدمته لم تكن صحيحة. وبذلك، فقد كان قايين يُقلد آدم وحواء حينما حاولا تغطية عورتيهما بأوراق التين!

## الرَّفْضِي

«فَنظَرَ الرَّبُّ إِلَى هَابِيلَ وَقَرَّبَانِهِ، وَلَكِنْ إِلَى قَايِينَ وَقَرَّبَانِهِ لَمْ يَنْظُرْ» (تكوين ٤: ٤، ٥)

رفض الله تقديم قايين لأنه أخطأ في أمرين: الأول أنه أظهر من خلال تصرفاته أنه لا يثق بالله؛ والثاني أنه أراد أن يعمل الأشياء بطريقته الخاصة. لكن الله لا يقبل الأفكار الشخصية حول كيفية التصالح معه. فقد تكون لدى الإنسان أفضل النوايا في العالم، لكن صدق النوايا لا يكفي وحده لإعادة العلاقة المنقطعة بين الله والإنسان.

غالباً ما ننظر إلى الأفكار المستقلة باعتبارها شيئاً حسناً. ورغم أننا لا ننكر ذلك، إلا أننا يجب أن نحذر من هذه الاستقلالية! فالروح المستقلة يُمكن أن تكون مُتمركزة حول نفسها. لذلك، حينما تُسيطر علينا عقلية «سوف أفعل ذلك بطريقتي



الخاصة»، و«أنا حر»، فسوف تكون النتيجة بشعة جداً.

قرّر قايين أن يتصرف على هواه. وبذلك، فقد انضم إلى آدم وحواء في تجاهل وصايا الله. وربما كان يعتقد أنه يعرف الصواب أكثر من الله.

## القبول

من ناحية أخرى، قدّم هابيل الذبيحة التي أمر الله بها حيث أحضر حيواناً بريئاً وذبحه وسفك دمه. فقد كان هابيل يستحق الموت لأجل خطاياها، لكن الله قبل بموت ذلك الحيوان البريء بدلاً عنه لأنه إله رؤوف ومُحِب. وضع هابيل تقدمته أمام الرب وهو واثق بأن الله سيغفر بوعده وأنه سيرسل مُخلصاً يُنقذه من عقوبة خطيئته. ورغم أن هابيل كان يجهل كيف سيقوم المُخلص بدوره الخلاصي هذا، إلا أنه من الواضح أنه كان يثق بأن لدى الله علاج لمشكلة الخطيئة.

«بِالْإِيمَانِ قَدَّمَ هَابِيلُ لِلَّهِ ذَبِيحَةً أَفْضَلَ مِنْ قَايِينَ. فِيهِ شُهِدَ لَهُ أَنَّهُ بَارٌّ، إِذْ شَهِدَ اللَّهُ لِقَرَابَتِهِ»  
(عبرانيين ١١: ٤)

حينما اقترب هابيل بإيمان من الله، كانت ذبيحته كَفَّارَةً (غطاءً) لخطاياها. لهذا، حينما نظر الله إلى هابيل، فقد رأى الدم ولم يرَ خطاياها. وبهذه الطريقة، أصبح هابيل مقبولاً في محضر الله.

### لُطْفُ اللَّهِ

اغتاظ قايين لأنَّ الله قَبَّلَ تَقْدِمةَ أخيه هابيل ورفض تقدمته هو:

«فَضَّبَ قَايِينَ جَدًّا وَعَبَسَ وَجْهَهُ. فَقَالَ الرَّبُّ لِقَايِينَ: بِمَاذَا غَضِبْتَ وبِمَاذَا عَبَسَ وَجْهَكَ؟ إِذَا أَحْسَنْتَ عَمَلًا، رَفَعْتُ شَانِكَ، وَإِذَا لَمْ تُحْسِنْ عَمَلًا، فَالْخَطِيئَةُ رَابِضَةٌ بِالْبَابِ وَهِيَ تَلْتَلِفُ إِلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أَنْ تَسْوَدَّ عَلَيْهَا.»

(تكوين ٤: ٥-٧ - المشتركة)

حاول الله بكل لطف أن يُبينَ لقايين أنه يسير في طريق خاطئ يؤدي إلى الهلاك، وأنَّ طبيعته الخاطئة يُمكن أن تُدمره. كما أنه بيَّنَ له أنه إن تصرَّفَ مثل أخيه هابيل، فسوف يتم قبوله هو الآخر. لكنَّ الكتاب المقدس لا يذكر أنَّ قايين تجاوب بطريقة إيجابية مع الله؛ بل إنَّ كل ما نعرفه عنه هو أنه كان عابس الوجه.

### أَسْئَلَةٌ .. أَسْئَلَةٌ

«وقال قايين لهابيل أخيه: هَيَّا لِنَخْرُجْ إِلَى الْحَقْلِ. وَبَيْنَمَا هُمَا فِي الْحَقْلِ هَجَمَ قَايِينَ عَلَى هَابِيلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ،»

(تكوين ٤: ٨، ٩ - المشتركة)

يتعامل الله مع قايين هنا بنفس الطريقة التي تعامل بها مع آدم وحواء بعدما عصيا وصيَّته في جنة عدن. ومن المؤكد أن الله لم يكن بحاجة لسؤال قايين عمَّا حدث. فهو يعلم تمامًا ما حدث؛ بل ويعرف أدق التفاصيل أيضًا. لكنه كان يُعطي قايين فرصة للاعتراف بخطيئته. لكنَّ إجابة قايين كشفت عن حال قلبه - تمامًا مثلما حدث مع آدم وحواء:

قايين: «لَا أَعْلَمُ! أَحَارِسُ أَنَا لِأَخِي؟»

(تكوين ٤: ٩، ١٠)

الله: «مَاذَا فَعَلْتَ؟ صَوْتُ دَمِ أَخِيكَ صَارِحًا إِلَيَّ مِنَ الْأَرْضِ»

لا يُمكن إخفاء الخطيئة عن الله. فقد قام قايين بقتل أخيه هابيل ثمَّ حاول أن يُنكر ذلك. لكنَّ الله واجه قايين بخطيئته وقال له: «أنت فعلت ذلك!»، ولا نقرأ في الكتاب المقدس أنَّ قايين أظهر ندمًا أو حسرة على ما فعله. كان بإمكان الله أن يهلك قايين، لكن حيث أنه رؤوف ورحيم فقد قام بنفيه إلى منطقة أخرى. وهكذا، فقد كانت بداية الجنس البشري مؤسفة بالفعل!

**شيث** (انظر الخط الزمني في الفصل التاسع من هذا الكتاب صفحة ١٤٣)

«وَعَرَفَ آدَمُ امْرَأَتَهُ أَيْضًا، فَوَلَدَتْ ابْنًا وَدَعَتْ اسْمَهُ شِيثًا، قَائِلَةً: لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ وَضَعَ لِي نَسَلًا آخَرَ عِوَضًا عَنْ هَابِيلَ. لِأَنَّ قَايِينَ كَانَ قَدْ قَتَلَهُ. وَلِشِيثَ أَيْضًا وُلِدَ ابْنٌ قَدَمَا اسْمُهُ نُوشٌ. جِينِيدُ ابْتَدَى أَنْ يَدْعَى بِاسْمِ الرَّبِّ.»

(تكوين ٤: ٢٥، ٢٦)

رغم أنَّ «شيث» كان خاطئًا بطبيعته، إلا أنه كان يؤمن بالله ويثق به مثل أخيه هابيل. وقد

كان الله مُزمعاً أن يأتي بالمخلص من نسل شيث؛ فالله يحفظ وعده دائماً.

### الموت

ها قد حان الوقت لوداع آدم. فالكتاب المقدس يقول إن آدم عاش فترة طويلة جداً، وإنه قام بتأسيس عائلة كبيرة للغاية. ويعتقد بعض العلماء أن الغلاف الجوي (أو ربما طبقة الأوزون) كان يحمي الأرض تماماً من تأثير الأشعة الكونية الضارة مما سمح للإنسان أن يعيش عمراً مديداً حسب ما نقرأ في التاريخ المبكر. ويعتقد بعض العلماء الآخرين أن التغيرات في الجينات الوراثية كانت ما زالت بطيئة مما أدى إلى إطالة عمر الإنسان آنذاك. ورغم أن هذه النظريات يمكن أن تكون صحيحة، إلا أن العلماء أصبحوا أكثر اقتناعاً الآن بأن عمر الإنسان مُحدد بحسب جيناته الوراثية. وربما يكون ذلك الحد الجيني أعلى بكثير من الحد السائد في وقتنا الحاضر. وسوف نرى لاحقاً ما هي الأسباب التي ربما أدت إلى هذا التغيير. ومهما يكن السبب، فإن الكتاب المقدس يقول إن وعد الله قد تحقق بالنسبة لآدم في نهاية المطاف:

«وَكَاثَتْ أَيَّامُ آدَمَ بَعْدَ مَا وُلِدَ شَيْئًا ثَمَانِي مِئَةَ سَنَةٍ، وَوُلِدَ بَنِينَ وَبَنَاتٍ. فَكَانَتْ كُلُّ أَيَّامِ آدَمَ الَّتِي عَاشَهَا تِسْعَ مِئَةٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، وَمَاتَ»  
(تكوين ٥: ٥، ٤)

### بمن تزوج شيث وقاين؟

يقول الكتاب المقدس إن آدم وحواء أنجبا أبناء آخرين (ذكوراً وإناثاً) وهذا يعني أن الإخوة والأخوات كانوا يتزوجون بعضهم من بعض في تلك الفترة الزمنية. وحيث أنه لم يمض وقت طويل يكفي لحدوث طفرات كبيرة في الجينات الوراثية المشتركة بين أبناء آدم وحواء، لم تكن تلك الزيجات بين الإخوة والأخوات تؤدي إلى نتائج ضارة. لكننا نرى في وقت لاحق من تاريخ الكتاب المقدس أن الله حرم هذا النوع من الزواج.

### ما الذي حدث لهاييل بعد موته؟

رغم أن سفر التكوين لا يذكر صراحةً أين ذهبت روح هاييل بعد موته، إلا أننا نعرف من خلال الأسفار المقدسة الأخرى أن الأموات كانوا يذهبون إلى مكان يُسمى «الفرديوس»؛ وهو مكان أعدّه الله للأشخاص الذين يؤمنون به. ورغم أن بعض العلماء كانوا يفرّقون بين الفرديوس والسّماء في تلك الفترة الزمنية، إلا أنهم يتفقون جميعاً بأن هذين المكانين هما اسمان لمكان واحد.

لا يُخبرنا الكتاب المقدس الكثير عن السّماء. وربما يرجع السبب في ذلك إلى أنه يصعب على عقولنا المحدودة أن تفهم مثل هذه الأمور السماوية! ورغم أن الله سمح لأحد الأنبياء بإلقاء لمحة خاطفة على السّماء، إلا أن هذا النبي وقف عاجزاً عن وصف السّماء بكلمات ملموسة؛ لذلك فقد لجأ إلى وصفها بصور كلامية على أمل أن يتمكن من التعبير عمّا رآه! وحينما تفكّر في العالم الجميل الذي خلقه الله لأجل الإنسان في ستة أيام، فمن الطبيعي أن تشعر بالذهول حينما تفكّر في ما يُعده الله في السّماء لأجل المؤمنين! لكنّ النقطة المهمّة هي أن الكتاب المقدس يؤكّد أن هذا المكان (الذي ندعوه «السّماء») هو مكان حقيقي، وأنّ أناساً حقيقيين يعيشون فيه. ولتقريب الصورة إلى أذهاننا، يمكن القول إنّ جنة عدن هي صورة مُصنّعة ومبسّطة عن هذه السّماء.

في السّماء، سوف تزول الطبيعة الخاطئة للإنسان:

«وَلَنْ يَدْخُلَهَا شَيْءٌ دَنَسٍ وَلَا مَا يَصْنَعُ رَجْسًا وَكَذِبًا، إِلَّا الْمَكْتُوبِينَ فِي سَفَرِ حَيَاةٍ ...»

(رؤيا ٢١: ٢٧)

وسوف يكون الإنسان باراً بصورة مقبولة تماماً لدى الله. وقد كتب النبي داود الكلمات التالية فيما هو يفكّر في رؤية الرب:

«أَمَا أَنَا فَبِالْبَرِّ أَنْظُرُ وَجِهَكَ. أَشْبِعُ إِذَا اسْتَيْقَظْتُ بِسَبْهِكَ»

(المزمور ١٧: ١٥)

وسوف يسترجع الإنسان علاقته الفريدة مع الله:

«وَسَمِعْتُ صَوْتًا عَظِيمًا مِنَ السَّمَاءِ قَائِلًا: هُوَذَا مَسَكَنُ اللَّهِ مَعَ النَّاسِ، وَهُوَ سَيَسْكُنُ مَعَهُمْ، وَهُمْ يَكُونُونَ لَهُ شَعْبًا، وَاللَّهُ نَفْسُهُ يَكُونُ مَعَهُمْ إِلَهًا لَهُمْ»

(رؤيا ٢١: ٣)

وكل شيء يتعلّق بالحياة سيكون رائعاً:

«وَسَيَمْسَحُ اللَّهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عَيْنِهِمْ، وَالْمَوْتُ لَا يَكُونُ فِي مَا بَعْدَ، وَلَا يَكُونُ حَزَنٌ وَلَا صُرَاخٌ وَلَا وَجَعٌ فِي مَا بَعْدَ، لِأَنَّ الْأُمُورَ الْأُولَى قَدْ مَضَتْ. وَقَالَ الْجَالِسُ عَلَى الْعَرْشِ: هَا أَنَا أَصْنَعُ كُلَّ شَيْءٍ جَدِيدًا! ...»

(رؤيا ٢١: ٤، ٥)

ولن تكون هناك جنازات، أو علاقات مُحطّمة، أو قبور، أو وداع يكسر القلب، أو مُستشفيات، أو أجسام سقيمة وصحّة عليبة، أو عُكازات أو كراسي مُقعدين؛ بل ستكون السّماء مكاناً لأفراح سماوية لا تنتهي:

(١ مار ١٦: ١١)

«... أَمَامَكَ شَبَعُ سُرُورٍ. فِي نَمِينِكَ نَعْمٌ إِلَى الأَبَدِ»

كذلك، لن تكون أجسامنا محصورة زمنياً أو مكانياً. لهذا، ربما سيكون بمقدورنا الانتقال من مكان لآخر بلمح البصر، وسيكون بإمكاننا أن نتعرف على الأشخاص الذين كنا نعرفهم أو نسمع عنهم أثناء حياتنا على الأرض.

وعلى أقل تقدير، سوف تكون هناك مدينة كبيرة تشغل جزءاً من السماء. وقد قام أحد العلماء بعملية حسابية لأبعاد هذه المدينة فوجد أنه إذا تم استغلال ٢٥٪ من مساحتها، فسوف تتسع لما يزيد عن ٢٠ بليون شخص. ويُطلق الكتاب المقدس على هذه المدينة اسم «أورشليم الجديدة»:

«... وَأَرَانِي الْمَدِينَةَ الْعَظِيمَةَ أُورُشَلِيمَ الْمُقَدَّسَةَ... لَهَا مَجْدُ اللَّهِ، وَلِعَانَهَا شَبَهُ أَكْرَمِ حَجَرِ كَحَجَرِ يَسَبُ بُلُورِيٍّ. وَكَانَ لَهَا سُورٌ عَظِيمٌ وَعَالٌ، وَكَانَ لَهَا اثْنَا عَشَرَ بَابًا، وَعَلَى الأَبْوَابِ اثْنَا عَشَرَ مَلَاكًا»

(رؤيا ٢١: ١٠-١٢)

(رؤيا ٢١: ٢٥)

«وَأَبْوَابُهَا لَنْ تَلْقَى نَهَارًا، لِأَنَّ لَيْلًا لَا يَكُونُ هُنَاكَ»

(رؤيا ٢١: ٢١)

«وَسُوقُ الْمَدِينَةِ ذَهَبٌ نَقِيٌّ كَرُجَاجِ شَفَافٍ»

«وَأَرَانِي الْمَلَاكَ نَهْرًا صَافِيًا مِنْ مَاءٍ حَيَاةٍ لَامِعًا كَبُلُورٍ، خَارِجًا مِنْ عَرْشِ اللَّهِ...»

(رؤيا ٢٢: ١)

وهكذا، سوف تكون هذه المدينة فريدة من نوعها ولا مثيل لها. فلن يكون هناك تلوث، ولا مرض، ولا فساد، ولا لصوص، ولا جريمة؛ بل ستكون كاملة في كل شيء. وسوف يبقى سُكَّانُ السماء فيها إلى أبد الأبد.

«وَلَا يَكُونُ لَيْلٌ هُنَاكَ، وَلَا يَحْتَاجُونَ إِلَى سِرَاجٍ أَوْ نُورٍ شَمْسٍ، لِأَنَّ الرَّبَّ الإِلَهَ يُنِيرُ عَلَيْهِمْ،

(رؤيا ٢٢: ٥)

وَهُمْ سَيَمْلِكُونَ إِلَى أَبَدِ الأَبَدِينَ»

(١ مار ٢٣: ٦)

«... وَأَسْكُنُ فِي بَيْتِ الرَّبِّ إِلَى مَدَى الأَيَّامِ»

ولعلنا نستطيع أن نختم هذا الجزء بالآية التالية التي رغم أنها لا تتحدث عن السماء فقط، إلا أنها تبين لنا أن الله أعد للمؤمنين أشياء رائعة تفوق الوصف:

«مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ: مَا أَعَدَّهُ اللَّهُ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ»

(١ كورنثوس ٢: ٩)

## ٣ . النبي أخنوخ

قباين  
آدم  
هابيل  
شيث  
حواء

أنوش  
قبنان  
مهليليل  
يارد

أخنوخ

مئوشالح  
لامك

يافث

حام

سام

لا يذكر الكتاب المقدس الشيء الكثير عن الأجيال التي ظهرت بعد مولد «شيث». لكن هناك رجلٌ يذكره الكتاب المقدس بصورة موجزة ألا وهو «أخنوخ». كان أخنوخ رجلاً باراً آمن بأن الرب وحده هو القادر على أن يُخلصه من عواقب الخطيئة. تقول كلمة الله:

«وَسَارَ أَخْنُوحٌ مَعَ اللَّهِ، وَلَمْ يُوَجَدْ أَيُّ أَحْتَضَى لَأَنَّ اللَّهَ أَخَذَهُ»

(تكوين ٥: ٢٤)

يقول الكتاب المقدس إنه بسبب إيمان أخنوخ، قام الله بأخذه إلى السماء قبل أن يموت. وبحسب ما يقوله الكتاب المقدس، لم يحدث مثل هذا الأمر سوى مرة واحدة أخرى بعد ذلك. وسوف نتعلم لاحقاً المزيد عن الإيمان ونعرف لماذا يُعتبر الإيمان عاملاً رئيسياً لقبول الله لنا.

«بِالإِيمَانِ نَقَلَ أَخْنُوحٌ لِكَيْ لَا يَرَى الْمَوْتَ، وَلَمْ يُوَجَدْ لَأَنَّ اللَّهَ نَقَلَهُ. إِذْ قَبِلَ نَقْلَهُ شَهِدَ لَهُ بِأَنَّهُ قَدْ أَرْضَى اللَّهَ. وَلَكِنْ بَدُونَ إِيمَانٍ لَا يُمَكِّنُ إِرْضَاؤُهُ، لِأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ الَّذِي يَأْتِي إِلَى اللَّهِ يُؤْمِنُ بِأَنَّهُ مُوجَّدٌ، وَأَنَّهُ يُجَازِي الَّذِينَ يَطْلُبُونَهُ»

(عبرانيين ١١: ٦، ٥)

تلخص العبارة الأخيرة الأمر بكل وضوح. فلكي تأتي إلى الله، يجب أن تؤمن أولاً أنه موجود وأنه سيوضح لك الطريق للشركة معه.

## ٤ . النبي نوح

يعتقد الكثيرون أن كلمة الله هي عبارة عن سلسلة متواصلة من المعجزات المذهلة. لكن في حقيقة الأمر أن المعجزات كانت هي الاستثناء وليست القاعدة. فقد كانت تمرُّ قرون عديدة قبل أن يحدث شيء عجيب يُزلزل الأرض. وعند هذه النقطة من قصتنا، يدون الكتاب المقدس أن ما لا يقل عن عشرة أجيال قد انقضت قبل وقوع الحدث الكبير اللاحق في تاريخ العالم. وكان كل جيل من هذه الأجيال يُمثل فترة زمنية طويلة زاد فيها عدد سُكَّان العالم بصورة مذهلة.

انقضت مئات السنين دون أن ينسى الله وعده بأنه سيرسل المُخلص الموعود. وكان هناك أشخاص يؤمنون بالله من كل قلوبهم في كل جيل. عاش آدم ٩٣٠ سنة. وهكذا، فقد كان بإمكان الناس أن يعرفوا الكثير عن الله وعن طرقه من خلال هؤلاء الأشخاص المؤمنين، فالكتاب المقدس يقول بأن الله:

«... لَمْ يَتْرِكْ نَفْسَهُ بِلَا شَاهِدٍ»

(أعمال ١٤: ١٧)

لكن للأسف الشديد، رغم أن عدد سُكَّان العالم كان في تزايد مستمر، إلا أن عدد الذين

كانوا يؤمنون بالله لم يكن يتزايد بنفس المعدل. فالكتاب المقدس يقول إن جميع الناس - باستثناء فئة قليلة جداً - أداروا ظهورهم لله.

### عُنف

لم يرفض الناس الله فحسب، بل أصروا على اتباع الشيطان بجميع الطرق والوسائل. ويقول الكتاب المقدس:

«رَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الْإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الْأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شَرٌّ كُلَّ يَوْمٍ... وَفَسَدَتِ الْأَرْضُ أَمَامَ اللَّهِ، وَأَمْتَلَأَتِ الْأَرْضُ ظُلْمًا. وَرَأَى اللَّهُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ قَدْ فَسَدَتْ، إِذْ كَانَ كُلُّ بَشَرٍ قَدْ أَفْسَدَ طَرِيقَهُ عَلَى الْأَرْضِ»  
(تكوين ٦: ٥-١٢)

يمكن للمرء أن يحصل على صورة واضحة عن وضع العالم آنذاك من خلال متابعة النشرات الإخبارية عن ما يحدث في وقتنا الحاضر في بعض دول العالم التي تعمها الفوضى، والحرب، والعُنف، والاختصاب، وما إلى ذلك من شروء! ويقول الكتاب المقدس إن أفكار الإنسان كانت تتمحور حول الشرِّ دوماً. وهكذا، فقد عمَّت الفوضى والفساد، وأصبح العالم مكاناً خطراً للعيش!

علاوة على ذلك، كانت المجتمعات في تلك الأيام تُركِّز على أن يعيش المرء لنفسه وشهواته.<sup>٢</sup> وهكذا، فقد ازدري الإنسان بخطة الله وراح يتبع فلسفته الخاصة في الحياة دون أن يطلب وجه الله. وفي الوقت الذي كان فيه الإنسان يبتعد عن البرِّ والصَّلاح شيئاً فشيئاً، كان يقترب من الخطيئة أكثر فأكثر:

«لأنهم لما عرفوا الله لم يمجِّدوه أو يشكروه كإله، بل حَمَقُوا في أفكارهم، وأظلم قلبهم الغيبي. وبيئنا هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء، وأبدلوا مجد الله الذي لا يفنى بشبه صورة الإنسان الذي يفنى، والطيور، والدواب، والزحافات.

لذلك أسلمهم الله أيضاً في شهوات قلوبهم إلى النجاسة، لإهانة أجسادهم بين ذواتهم. الذين استبدلوا حق الله بالكذب، واتقوا وعبدوا المخلوق دون الخالق، الذي هو مبارك إلى الأبد. أمين. لذلك أسلمهم الله إلى أهواء الهوان، لأن إنانهم استبدلوا الاستعمال الطبيعي بالذي على خلاف الطبيعة، وكذلك الذكور أيضاً تاركين استعمال الأثنى الطبيعي، اشتعلوا بشهواتهم بعضهم لبعض، فاعلن الفحشاء ذكراً بذكور، ونائلين في أنفسهم جزءاً ضلالهم المحق. وكما لم يستحسنوا أن يبغوا الله في معرفتهم، أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق.

مملوئين من كل إنهم وزنا وشر وطمع وخبث، مشحونين حسداً وقتلاً وخصاماً ومكراً وسوءاً، نمامين مفترين، مبغضين لله، ثالبيين متعظمين مدعين، مبتدعين شروء، غير طائعين للوالدين، بلا فهم ولا عهد ولا حنو ولا رضى ولا رحمة. الذين إذ عرفوا حكم الله أن الذين يعملون مثل هذه يستوجبون الموت، لا يفعلونها فقط، بل أيضاً يسرون بالذين يعملون.»<sup>٣</sup> (رومية

(٢١-٢٢: ١)

يقول الكتاب المقدس إن الإنسان باع نفسه للخطيئة في تلك الفترة. لكن كما رأينا من قبل، فإن للخطيئة عواقب وخيمة دوماً. فكما أن مخالفة قانون الجاذبية تؤدي إلى إصابات بليغة وعظام مكسورة، فإن تجاهل كلمة الله يؤدي إلى عواقب وخيمة أيضاً. وحيث أن الله لا يطبق الخطيئة، فقد حزن لذلك كثيراً وقرَّر أن يزيل الإنسان عن وجه الأرض:

«قال الربُّ: أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته...»  
(تكوين ٦: ٧)

وهكذا، رغم أن الإنسان تجاهل الله واستثناه من حياته؛ إلا أن الله كان ما زال يُحمِّل

الإنسان مسئولية أعماله وتصرفاته.

نوح (انظر الخط الزمني في الفصل التاسع من هذا الكتاب صفحة ١٤٣)

رغم كل شُرور البشر، كان هناك رجلٌ وعائلته مختلفين تماماً عن باقي الناس حيث تقول كلمة الله:

«وَأَمَّا نُوحٌ فَوَجَدَ نِعْمَةً فِي عَيْنِي الرَّبِّ. ... كَانَ نُوحٌ رَجُلًا بَارًّا كَامِلًا فِي أَجْيَالِهِ. وَسَارَ نُوحٌ مَعَ اللَّهِ»  
(تكوين ٦: ٨-٩)

رغم أن نوحاً كان رجلاً باراً في سلوكه، إلا أن كلمة الله تبين بوضوح أنه كان شخصاً خاطئاً في نظر الله. وبحسب قانون الخطيئة والموت، كان يجب على نوح أن يموت. لكن الكتاب المقدس يشير أيضاً إلى أن نوحاً كان يُقدِّم لله ذبائح حيوانية مما يُشير إلى أنه كان يدرك حاجته لوجود بديل بريء يُسدّد عنه أجره الموت. وهكذا، فقد كان نوح يؤمن أن الله سيعمل بطريقة ما على إنقاذه من عقاب الخطيئة. ويقول الكتاب المقدس إنه بسبب إيمان نوح بالله، فقد اعتبره الله باراً. ويمكننا أن ندرك أن نوحاً كان يتمتع بعلاقة سليمة مع الله من خلال الآية التي تقول «وَسَارَ نُوحٌ مَعَ اللَّهِ».

«فَقَالَ اللَّهُ لِنُوحٍ: نَهَايَةٌ كُلِّ بَشَرٍ قَدْ أَتَتْ أَمَامِي، لِأَنَّ الْأَرْضَ امْتَلَأَتْ ظُلْمًا مِنْهُمْ. فَهَذَا أَنَا مَهْلِكُهُمْ مَعَ الْأَرْضِ. اصْنَعْ لِنَفْسِكَ فُلْكَاً مِنْ خَشَبِ جُفْرٍ. تَجْعَلُ الْفُلْكَ مَسَاكِينَ، وَتَطْلِيهِ مِنْ دَاخِلٍ وَمِنْ خَارِجٍ بِالقَارِ»  
(تكوين ٦: ١٣، ١٤)

### وسيلة نجاة

قال الله لنوح أن يبني فُلْكَاً. ولم يكن هذا الفُلْكَ مجرد قارب صغير، بل كان سفينة ضخمة على غرار السفن الحديثة العابرة للمحيطات. كان الفُلْكَ يتألف من عدة طوابق، ونظام تهوية، وباب واحد فقط. وقد بُني هذا الفُلْكَ من خشب مطلي بطبقة من القار؛ وهي مادة كانت تُستخدم في القرون الغابرة لمنع تسرب المياه إلى السفن. وقد بقي هذا الفُلْكَ أضخم سفينة بُنيت في جميع العصور إلى أن تم بناء سفينة مُشابهة لها في الحجم والأبعاد في سنة ١٨٤٤ ألا وهي السفينة التي يُطلق عليها اسم «بريطانيا العظمى». وما زالت أبعاد فُلْكَ نوح هي الأبعاد المثالية لبناء السفن الكبيرة حتى وقتنا الحاضر. ويجب أن نعرف أنه لم يتم بناء هذا الفُلْكَ لكي يسير بسرعة كبيرة، بل فقط للحفاظ على حياة من فيه. قال الله لنوح:

«فَهَذَا أَنَا آتٍ بِطُوفَانِ الْمَاءِ عَلَى الْأَرْضِ لِأَهْلِكَ كُلِّ جَسَدٍ فِيهِ رُوحٌ حَيَاةٍ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ. كُلُّ مَا فِي الْأَرْضِ يَمُوتُ.  
وَلَكِنْ أَقِيمْ عَهْدِي اتِّفَاقِيَّةً، أَوْ وَعْدًا، أَوْ عَقْدًا مَعَكَ، فَتَدْخُلُ الْفُلْكَ أَنْتَ وَبَنُوكَ وَأَمْرَأَتُكَ وَنِسَاءُ بَنِيكَ مَعَكَ.

وَمَنْ كُلُّ حَيٍّ مِنْ كُلِّ ذِي جَسَدٍ، اثْنَيْنِ مِنْ كُلِّ تَدْخُلُ إِلَى الْفُلْكَ لِاسْتِبْقَائِهَا مَعَكَ. تَكُونُ ذَكَرًا وَأُنْثَى. مِنَ الطُّيُورِ كَأَجْنَسِهَا، وَمِنَ الْبَهَائِمِ كَأَجْنَسِهَا، وَمِنْ كُلِّ دَبَابَاتِ الْأَرْضِ كَأَجْنَسِهَا. اثْنَيْنِ مِنْ كُلِّ تَدْخُلُ إِلَيْكَ لِاسْتِبْقَائِهَا. وَأَنْتَ، فَخُذْ لِنَفْسِكَ مِنْ كُلِّ طَعَامٍ يُوَكَّلُ وَأَجْمَعَهُ عِنْدَكَ، فَيَكُونُ لَكَ وَلِهَا طَعَامًا.

فَفَعَلَ نُوحٌ حَسَبَ كُلِّ مَا أَمَرَهُ بِهِ اللَّهُ. هَكَذَا فَعَلَ»  
(تكوين ٦: ١٧-٢٢)

## الطاعة

كان نوح يؤمن بالله ويطيعه. رغم ذلك، لم يكن أتباع تعليمات الله أمراً سهلاً بالنسبة له لأنه لم يصنع سفينة من قبل!

قال الله لنوح إن الطوفان سيحدث بعد ١٢٠ سنة. وكان ينبغي على نوح في هذه الفترة أن يبني الفلك وأن يحذّر الناس من خطر الدينونة القادمة.<sup>٦</sup>

«وَقَالَ الرَّبُّ لِنُوحٍ: ادْخُلِ أَنْتَ وَجَمِيعُ بَيْتِكَ إِلَى الْفُلِّ، لِأَنِّي إِيَّاكَ رَأَيْتُ بَارًّا لَدَيَّ فِي هَذَا الْجِيلِ. فَفَعَلَ نُوحٌ حَسَبَ كُلِّ مَا أَمَرَهُ بِهِ الرَّبُّ. ... فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عَيَّنَهُ دَخَلَ نُوحٌ، وَسَامٌ وَحَامٌ وَبِافْتِ بَنُو نُوحٍ، وَامْرَأَةُ نُوحٍ، وَثَلَاثُ نِسَاءٍ بَنِيهِ مَعَهُمْ إِلَى الْفُلِّ. هُمُ وَكُلُّ الْوَحْشِ كَأَجْنَاسِهَا، وَكُلُّ الْبَهَائِمِ كَأَجْنَاسِهَا، وَكُلُّ الدَّبَابَاتِ الَّتِي تَدْبُ عَلَى الْأَرْضِ كَأَجْنَاسِهَا، وَكُلُّ الطُّيُورِ كَأَجْنَاسِهَا: كُلُّ عَصْفُورٍ، كُلُّ ذِي جَنَاحٍ. وَدَخَلَتْ إِلَى نُوحٍ إِلَى الْفُلِّ، اثْنَتَيْنِ مِنْ كُلِّ جَسَدٍ فِيهِ رُوحَ حَيَاةٍ. الْدَّاخِلَاتُ دَخَلَتْ ذَكَرًا وَأُنْثَى، مِنْ كُلِّ ذِي جَسَدٍ، كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ. وَأَغْلَقَ الرَّبُّ عَلَيْهِ» (تكوين ١: ١٦-١٢: ٥)

(١٦-١٢: ٥)

## باب واحد

استغرق تحميل الفلك سبعة أيام، وأخذ نوح معه في الفلك زوجاً واحداً من كل صنف من الحيوانات غير الطاهرة وسبعة أزواج من الحيوانات الطاهرة التي كانت تقدم ذبائح (انظر تكوين ٧: ٢، ٣، ٨: ٢٠) كان الفلك يتسع لجميع تلك الحيوانات بما فيها الحيوانات التي انقرضت بعد ذلك. وكانت الحيوانات تشغل نحو ٦٠ بالمئة فقط من حجم الفلك.<sup>٧</sup> أما المساحة المتبقية فكانت مخصصة على الأرجح لتخزين الطعام. وربما ساعد اختيار الحيوانات الفتية المعتدلة الحجم في توفير المساحة. كما أن دخول بعض الحيوانات في سباتها الشتوي ساعد في توفير الطعام أيضاً. ومن المؤكد أن الله كان قادراً على إطعام جميع من في السفينة من بشر وحيوانات بالطريقة التي يريدها.

بعد اكتمال تحميل الفلك، أغلق الله على نوح ومن معه داخل الفلك. وحينما حان وقت الدينونة، بدأ منسوب المياه يرتفع شيئاً فشيئاً عن سطح الأرض. ورغم أن المياه كانت تضرب الفلك بقوة، إلا أن نوحاً لم يفتح كوة الفلك، ولم يخف هو وعائلته من تحطم باب الفلك بسبب الطوفان القوي. وهكذا، فقد كان نوح ومن معه في مأمن تام لأن الله أغلق عليهم الباب الوحيد للنجاة. وبهذا، فقد أغلق الله الباب على الذين آمنوا، وأبقى غير المؤمنين خارجاً.

ما من شك أن الله رؤوف ورحيم حيث أنه أعطى البشر ١٢٠ سنة لكي يرجعوا عن طرقهم الشريرة ويستفيدوا من رحمته. لكن فترة الإمهال قد انتهت الآن وحانت ساعة الدينونة التي تحدث عنها الله من قبل؛ فالله يحفظ وعوده دائماً.

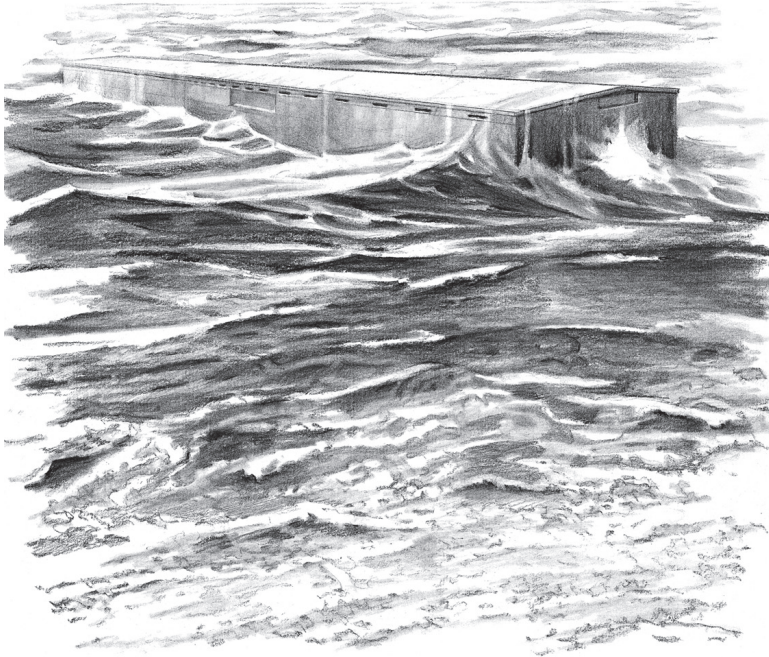
«فِي سَنَةِ سِتِّ مِئَةٍ مِنْ حَيَاةِ نُوحٍ، فِي الشَّهْرِ الثَّانِي، فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، أَنْفَجَرَتْ كُلُّ يَنَابِيعِ الْعَمْرِ الْعَظِيمِ، وَأَنْفَتَحَتْ طَافَاتُ السَّمَاءِ. وَكَانَ الْمَطَرُ عَلَى الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً»

(تكوين ٧: ١١، ١٢)

### ينابيع الغمر وطاقات السماء

في بادئ الأمر، تصدعت الأرض وتدفقت منها كميات هائلة من المياه الجوفية. فالكتاب المقدس يتحدث عن تمجر «كل ينابيع الغمر العظيم». وتقول إحدى النظريات إن الضغط الشديد كذف بالمياه عالياً. ثم نزلت هذه المياه وغيرها من مياه الأمطار إلى الأرض بقوة هائلة كما لو أن طاقات السماء قد فتحت فجأة.

إن الكلمة العبرية التي تصف هذا الحدث تعني «طوفان مُفجِع». ولم يرد استخدام تلك الكلمة في الكتاب المقدس بأكمله إلا لوصف هذا الطوفان العظيم. فلم يحدث مثل هذا الطوفان لا من قبل ولا من بعد، ورغم أن الكثير من الأشياء التي حدثت في هذا الطوفان



قابلة للتفسير العلمي، إلا أنه ينبغي علينا أن نتذكر أن الله القدير كان قادراً على خلق الظروف المواتية للطوفان، وقادراً على إحداث النتائج المروعة التي نتجت عنه!

استمرَّ المطر أربعين يوماً، لكننا نستنتج من خلال آيات الكتاب المقدس أن المياه الجوفية استمرت في التدفق لمدة ١٥٠ يوماً.

«وَكَانَ الطُّوفَانُ أَرْبَعِينَ يَوْماً عَلَى الْأَرْضِ. وَتَكَاثَرَتِ الْمِيَاهُ وَرَفَعَتِ الثَّلَجُ. فَارْتَفَعَ عَنِ الْأَرْضِ. وَتَعَاظَمَتِ الْمِيَاهُ وَتَكَاثَرَتِ جِدًّا عَلَى الْأَرْضِ، فَكَانَ الثَّلَجُ يَسِيرٌ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ. وَتَعَاظَمَتِ الْمِيَاهُ كَثِيراً جِدًّا عَلَى الْأَرْضِ، فَتَغَطَّتْ جَمِيعَ الْجِبَالِ الشَّامِخَةِ الَّتِي تَحْتَ كُلِّ السَّمَاءِ»

(تكوين ٧: ١٧-١٩)

كُلُّ مَا فِي أَنْفِهِ نَسَمَةٌ رُوحِ حَيَاةٍ مِنْ كُلِّ مَا فِي الْيَابِسَةِ مَاتَ. فَمَحَا اللَّهُ كُلَّ قَائِمٍ كَانَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ: النَّاسَ، وَالْبَهَائِمَ، وَالذَّبَابَاتِ، وَالطُّيُورَ السَّمَاءِ. فَانْمَحَتْ مِنَ الْأَرْضِ. وَتَبَقِيَ نُوحٌ وَالَّذِينَ

مَعَهُ فِي الْفَلَكِ فَقَطَّ»

(تكوين ٧: ٢٢-٢٣)

«ثُمَّ ذَكَرَ اللَّهُ نُوحًا وَكُلَّ الْوَحُوشِ وَكُلَّ الْبَهَائِمِ الَّتِي مَعَهُ فِي الْفَلَكِ. وَأَجَازَ اللَّهُ رِيحًا عَلَى الْأَرْضِ فَهَدَأَتِ الْمِيَاهُ. وَأَسَدَّتْ يَنَابِيعَ الْغَمْرِ وَطَاقَاتِ السَّمَاءِ، فَأَمْتَمَعَ الْمَطَرُ مِنَ السَّمَاءِ. وَرَجَعَتِ الْمِيَاهُ عَنِ الْأَرْضِ رُجُوعًا مُتَوَالِيًا. وَبَعْدَ مِئَةِ وَخَمْسِينَ يَوْمًا نَقَصَتِ الْمِيَاهُ»

(تكوين ٨: ٣-١)

يعتقد بعض العلماء أن الجبال لم تكن بهذا الارتفاع قبل حدوث ذلك الطوفان. ولو كان بمقدورنا أن نهدّ سطح الأرض ونجعله مستويًا في وقتنا الحاضر، فسوف تغطّي مياه البحار والمحيطات الأرض على ارتفاع ثلاثة كيلومترات تقريبًا. ويقول الكتاب المقدس إن الجبال التي نراها اليوم قد ارتفعت بعد الطوفان، كما أن الوديان وأحواض البحار والمحيطات تشكلت بعد الطوفان أيضًا.

«كَسَوْتَهَا الْغَمْرَ كَتُوبٍ. فَوْقَ الْجِبَالِ تَقَفَ الْمِيَاهُ. مِنْ انْتِهَارِكَ تَهْرَبُ... تَصْعَدُ إِلَى الْجِبَالِ. تَنْزِلُ إِلَى الْبِقَاعِ، إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي أَسَسْتَهُ لَهَا. وَضَعْتَ لَهَا تَحْمًا لَا تَتَعَدَاهُ. لَا تَرْجِعْ لِتُغَطِّي الْأَرْضَ»

(المرمور ٦: ١٠٤-٩)

### كوكب مختلف

بقي آدم وعائلته في الفلك لمدة ٢٧١ يومًا قبل أن يفتح الله الباب ويسمح لهم بالخروج. وقبل خروجهم بوقت طويل، تراجع منسوب المياه واستقر الفلك على منطقة جبلية. وحينما غادروا الفلك لم تكن الأرض قد جفّت فحسب، بل وكانت خصبة وصالحة للزراعة أيضًا. وهكذا، فقد أصبح كوكب الأرض مختلفًا تمامًا عن السابق؛ وهي نفس الأرض التي نعيش عليها الآن.

«وَكَلَّمَ اللَّهُ نُوحًا قَائِلًا: 'أَخْرِجْ مِنَ الْفَلَكِ أَنْتَ وَأَمْرَأَتُكَ وَبَنُوكَ وَنِسَاءُ بَنِيكَ مَعَكَ. وَكُلَّ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي مَعَكَ مِنْ كُلِّ ذِي جَسَدٍ: الطَّيُورِ، وَالْبَهَائِمِ، وَكُلَّ الدَّبَابَاتِ الَّتِي تَدْبُ عَلَى الْأَرْضِ، أَخْرِجْهَا مَعَكَ. وَلِتَنَوِّدْ فِي الْأَرْضِ وَتَثْمِرْ وَتَكْتَرِ عَلَى الْأَرْضِ'. فَخَرَجَ نُوحٌ وَبَنُوهُ وَأَمْرَأَتُهُ وَنِسَاءُ بَنِيهِ مَعَهُ... وَبَنَى نُوحٌ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ. وَأَخَذَ مِنْ كُلِّ الْبَهَائِمِ الطَّاهِرَةِ وَمِنْ كُلِّ الطَّيُورِ الطَّاهِرَةِ وَأَضْعَدَ مُحْرَقَاتٍ عَلَى الْمَذْبَحِ»

(تكوين ٨: ١٥-١٠، ١٨، ٢٠)

### وعد

كان أول شيء فعله نوح بعد خروجه من الفلك هو أنه بنى مذبحًا للرب وقدم عليه حيوانات طاهرة لله. ورغم أن تلك الذبائح لم تعمل على إزالة الخطيئة، إلا أنها تصوّر الشيء الضروري لدفع أجرة الخطيئة ألا وهو: الدم المسفوك من خلال الموت. وكان ذلك بمثابة دليل على أن نوحًا كان يثق بالله ويؤمن بأن الله سيحفظ وعده ويخلصه هو وعائلته بطريقة ما من عقاب الخطيئة. وقد سرّ الله بتقدمة نوح.

«وَبَارَكَ اللَّهُ نُوحًا وَبَنِيهِ وَقَالَ لَهُمْ: ائْتَمَرُوا وَآكثَرُوا وَأَمَلُوا الْأَرْضَ»

(تكوين ٩: ١)

«وَهَا أَنَا مُقِيمٌ مِيثَاقِي مَعَكُمْ وَمَعَ سَلَكِكُمْ مِنْ بَعْدِكُمْ... أَقِيمُ مِيثَاقِي مَعَكُمْ فَلَا يَقْرِضُ كُلُّ ذِي جَسَدٍ أَيْضًا بِمِيَاهِ الطُّوفَانِ. وَلَا يَكُونُ أَيْضًا طُوفَانٌ لِيُخَرِبَ الْأَرْضَ»

(تكوين ٩: ٩، ١١-٩)

«وَقَالَ اللَّهُ: هَذِهِ عَلَامَةُ الْمِيثَاقِ الَّذِي أَنَا وَأَضَعُهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ... وَضَعْتُ قَوْسِي فِي السَّحَابِ فَتُكُونُ عَلَامَةً مِيثَاقِي بَيْنِي وَبَيْنَ الْأَرْضِ»

(تكوين ٩: ١٢-١٣)

قطع الله وعداً بأنه لن يهلك الأرض ثانيةً بطوفان. وقد وضع الله قوس قزح في السماء كتذكير بهذا الوعد. ورغم مرور آلاف السنين على ذلك الطوفان، إلا أن الله ما زال يحفظ وعده.

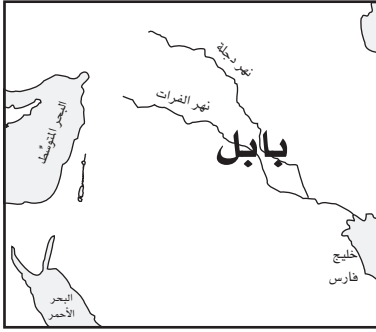
«وَكَانَ بَنُو نُوحٍ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنَ الْفَلَكِ سَامًا وَحَامًا وَيَافَثَ ... هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ هُمُ بَنُو نُوحٍ. وَمِنْ هَؤُلَاءِ تَشَعَّبَتْ كُلُّ الْأَرْضِ»  
(تكوين ٩: ١٨، ١٩)

وهكذا، فقد بدأ الإنسان بدايةً جديدةً على سطح هذه الأرض. وبعد سنوات طويلة، مات نوح:

«فَكَانَتْ كُلُّ أَيَّامِ نُوحٍ تِسْعَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً، وَمَاتَ» (تكوين ٩: ٢٩)

## ٥. بابل

غالباً ما يُطلق على الأصحاب العاشر من سفر التكوين اسم «قائمة الأمم». فهو يُخبرنا عن أصل الجماعات العرقية الرئيسية ابتداءً من أبناء نوح الثلاثة. وينتهي هذا الأصحاب بالآية التالية:



«هَؤُلَاءِ قَبَائِلُ بَنِي نُوحٍ حَسَبَ مَوَالِدِهِمْ بِأُمَّهَاتِهِمْ. وَمِنْ هَؤُلَاءِ تَفَرَّقَتِ الْأُمَمُ فِي الْأَرْضِ بَعْدَ الطُّوفَانِ»  
(تكوين ١٠: ٢٢)

ومرّةً أخرى، انقضت قرون عديدة وزاد عدد سُكّان الأرض من جديد. والآن، تنتقل أحداث قصتنا إلى ما يُسمّيه المؤرّخون بمهد الحضارة؛ أي إلى بلاد ما بين

النهرين القديمة أو ما يُعرف في وقتنا الحاضر بالعراق.

«وَكَانَتْ الْأَرْضُ كُلُّهَا لِسَانًا وَاحِدًا وَلُغَةً وَاحِدَةً. وَحَدَّثَ فِي ارْتِحَالِهِمْ شَرْقًا أَنَّهُمْ وَجَدُوا بُقْعَةً فِي أَرْضِ شِنْعَارَ وَسَكَنُوا هُنَاكَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: هَلُمَّ نَصْنَعْ لِبَنَانًا وَنَشْوِيهِ شَيْئًا. فَكَانَ لَهُمُ اللَّبْنُ مَكَانَ الْحَجَرِ، وَكَانَ لَهُمُ الْحَمْرُ مَكَانَ الطِّينِ. وَقَالُوا: هَلُمَّ نَبْنِ لِنَفْسِنَا مَدِينَةً وَبُرْجًا رَأْسَهُ بِالسَّمَاءِ. وَنَصْنَعْ لِنَفْسِنَا اسْمًا لئَلَّا نَتَبَدَّدَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الْأَرْضِ»  
(تكوين ١١: ١-٤)

## خطة الإنسان

بعد الطوفان، قال الله لنوح وبنيه:

«... أَتَمَرُوا وَكَثُرُوا وَأَمَلُوا الْأَرْضَ»

(تكوين ٩: ١)

لكن الإنسان لم يسعَ إلى تغيير المخطط الإلهي فحسب، بل أراد أن يُضيف إليه بعض العناصر الأخرى الخلاقة:

أولاً: أراد الناس أن يبقوا في مكان واحد وأن يبنوا مدينةً كبيرة. وكان هذا التفكير عصياناً مباشراً لأمر الله الذي قال للإنسان أن يملأ الأرض. ونرى مرّةً أخرى أن الإنسان شعر بأنه يعرف الصواب أفضل من الله.

وكما ترى، فقد كان الإنسان - وما زال - يواجه مُشكلةً في إطاعة الله! هل تساءلت يوماً لماذا لا يحتاج الآباء والأمهات أن يُعلّموا أبناءهم كيف يعصون أوامرهم وتعليماتهم؟ السبب هو أنّ العصيان موجود في قلب الإنسان ويخرج منه بصورة تلقائية. وبصورة أساسية فإننا لا نُحب أن يُقال لنا ما ينبغي علينا القيام به؛ بل نُفضّل أن نقوم بالأشياء التي نريدها نحن. وقد كانت هذه هي المُشكلة التي عانى منها شعب بابل.

ثانياً: إلى جانب رغبة سُكّان بابل في بناء مدينة عظيمة، فقد أرادوا أيضاً أن يبنوا برجاً يُمجّدون به أنفسهم حيث راحوا يقولون بعضهم لبعض:

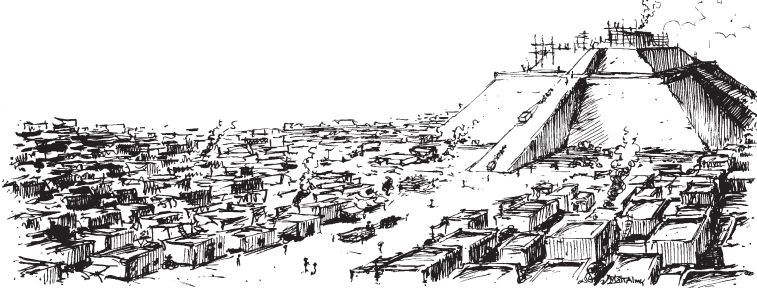
(تكوين ١١: ٤)

«... نَصْنَعُ لِنَفْسِنَا اسْمًا...»

ويمكننا هنا أن نسمع همسات الشيطان الشريرة من جديد! فقد كان هذا هو طموحه هو الآخر. وهكذا، من الواضح تماماً أنّ الله لم يكن جزءاً من خطة الناس في ذلك الوقت. فحينما ينشغل الناس بخططهم وطموحاتهم الشخصية، فمن المؤكّد أنّ الكبرياء تُهيمن عليهم وتجعلهم يديرون ظهورهم لله. ومن المُستحيل أن تسعى لتمجيد نفسك فيما أنت تقف بجانب إله فائق السموّ والعظمة والقوّة! وكما رأينا سابقاً، فإنّ الكتاب المقدّس يقول إنّ الله هو الوحيد الذي يستحق التمجيد.

لهذا، لم تكن خطط الإنسان تتوافق مع وصايا الله على الإطلاق؛ بل إنّ الإنسان راح يعمل من جديد بصورة مُنفردة ومُستقلّة عن الله العليّ.

تعتبر بابل أوّل حادثة مُدوّنة في الكتاب المقدّس تُشير إلى سعي الإنسان لتنظيم نفسه دينياً. وغالباً ما ترمز بابل في الكتاب المقدّس إلى جهود الإنسان الدنيئة. فحينما حاول هؤلاء الأشخاص أن يبنوا برجاً يصل إلى السّماء، كانوا في حقيقة الأمر يبتكرون طريقتهم الخاصّة بهم للوصول إلى الله. ويمكنك أن تتخيل هؤلاء الأشخاص وهم يعملون كالعبيد في ذلك الحرّ الشديد في جمع الطين، وشيّ الطوب، وتثبيت قوالب الطوب في أماكنها بواسطة الزّفت. وهكذا، من المؤكّد أنّهم بذلوا جهداً هائلاً في بناء ذلك البرج من أجل الوصول إلى السّماء؛ لكنّ خطّتهم لم تتجح. فهناك طريق واحد فقط يؤدي إلى السّماء ألا وهو طريق



الله.

إذا أردنا أن نُقدّم تعريفاً مُبسّطاً للتدينّ فيمكننا القول بأنه **جُهود الإنسان للوصول إلى الله**. والإنسان يميل للتدينّ بطبيعته. فهو يبحث بصورة دائمة عن طرق جديدة يصل من

خلالها إلى الله. لكن هذه الجهود هي جهود عقيمة. فالكتاب المقدس يقول إن الإنسان يعيش في صحراء روحية قاحلة؛ أي أنه ضال ولا يستطيع العثور على طريق العودة إلى الله بجهوده الشخصية. كما أن الإنسان لا يستطيع أن يتخلص من خطيئته ولا أن يجد البر الكافي الذي يجعله مقبولاً لدى الله.

وعلى النقيض من التدين، فإن كلمة الله تعلمنا أن الطريق الصحيح الوحيد المؤدي إلى الله قد وفرها الله نفسه حينما قدم للإنسان طريقة للنجاة من عقاب الخطية. وهكذا، فالله هو الذي يُقذنا لأنه هو المُخلص. ويوضح الكتاب المقدس أن الرب:

(٢ صموئيل ١٤: ١٤)

«... يَفْكَرُ أَفْكَارًا حَتَّى لَا يُطْرَدَ عَنْهُ مَنْفِيَةٌ»

لكن أهل بابل تفاوضوا عن هذه الحقيقة. وبالطبع، لم يكن الله غافلاً عما يفعلون؛ بل كان يعرف أدق التفاصيل:

«نَزَلَ الرَّبُّ ٨ لِيَنْظُرَ الْمَدِينَةَ وَالْبُرْجَ الَّذِينَ كَانُوا بَنَوْا أَدَمَ بَيْنُونَهُمَا. وَقَالَ الرَّبُّ: هُوَذَا شَعْبٌ وَاحِدٌ وَلِسَانٌ وَاحِدٌ لَجَمِيهِمْ، وَهَذَا ابْتِدَاؤُهُمْ بِالْعَمَلِ. وَالآنَ لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِمْ كُلُّ مَا يَنْوُونَ أَنْ يَفْعَلُوهُ»

(تكوين ١١: ٦، ٥)

كان الله يعرف الحقيقة التي أثبتتها التاريخ نفسه ألا وهي أن البشر يستطيعون من خلال وجود لغة مشتركة بينهم أن يحققوا تقدماً تكنولوجياً سريعاً. ويبدو أن هناك نمطاً شائعاً لدى الإنسان ألا وهو أنه كلما حقق المزيد من التقدم وشعر بالمزيد من الراحة فإن حاجته لله تتضاءل! ورغم أن الله أعطى الإنسان إرادة حرة، إلا أنه لم يكن يريد أن يحيا بصورة مُستقلة عنه.

## السَّاتَات

إن قصة بابل تُعبر عن نفسها بنفسها. فقد فعل الله شيئاً واجه فيه تحدي الإنسان له. فقد قال الله:

«هَلُمُّ نَنْزِلْ وَنُبَلِّلْ هُنَاكَ لِسَانَهُمْ حَتَّى لَا يَسْمَعَ بَعْضُهُمْ لِسَانَ بَعْضٍ. فَبَدَدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ هُنَاكَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الْأَرْضِ. فَكُنُوا عَنْ بَيْتَانَ الْمَدِينَةِ»

(تكوين ١١: ٨، ٧)

♦ ملحوظة: لاحظ مرة أخرى استخدام ضمير الجمع (نَنْزِلْ ... نُبَلِّلْ) في هذه الآية. فيما أن الكتاب المقدس يقول بوضوح إنه يوجد إله واحد فقط، فمن البديهي أن نتساءل: مع مَنْ يتكلم الله هنا حينما يقول: «هَلُمُّ نَنْزِلْ وَنُبَلِّلْ ...»؟ سوف نجيب عن هذا السؤال في وقت لاحق.

ومهما كانت الطريقة التي استخدمها الله لتشتيت هؤلاء الناس، فقد أعطاهم لغات جديدة. ولا بد أن الله قام بعمل هائل بهذا الشأن. فالأشخاص الذين يتعلمون لغة أخرى غير لغتهم الأم يعرفون أن ابتكار لغة جديدة ليس بالأمر السهل على الإطلاق. وما من شك في أن بعض اللغات التي أوجدها الله مُعقدة جداً لدرجة أن علماء اللغة يحتاجون إلى سنوات طويلة لتعلمها. وحتى عندما يتعلمونها فإنهم لا يتقنونها تماماً.

لم تختف المدينة التي حاول هؤلاء الناس أن يبنوها؛ لكنها أصبحت تُعرف باسم «بابل» التي تعني «ارتباك»، أو «تشويش»، أو «بَلْبَلَةٌ».

«بَلْبَلَةٌ» لأنَّ الرَّبَّ هُنَاكَ بَلْبَلَّ لِسَانَ كُلِّ الْأَرْضِ. وَمِنْ هُنَاكَ بَدَدَهُمُ الرَّبُّ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الْأَرْضِ»

(تكوين ١١: ٩)

